التصنيع الحربي العربي
امام تحدي الصناعة الحربية الاسرائيلية

طارق الصوّاف

خلال السنوات القليلة الماضية ، تنبهت معظم الاقطار العربية الى أهمية التصنيع الحربي العربي من حيث تحرير الارادة العربية من ضغوط مصادر السلاح ومصالحها ، ومن حيث الاثر البالغ الذي سيتركه في المستقبل القريب والبعيد على كافة نواحي التنمية الصناعية العربية . وقد ساعد مؤخرا هذا التوجه ، ارتفاع عائدات النفط ، فبدأت دول عربية كثيرة تتنادى لاقامة الصناعات الحربية العربية ، وبدأت ترصد بالفعل ، بعض المبالغ من المال هنا وهناك لهذا الغرض .

غير ان الكثير من المهتمين بشؤون التصنيع الحربي العربي ، بدأ يتساءل عن جدوى هذه المشاريع ومدى ما يمكن ان تحقق من نجاحات ، ويتخوف من ان يكون مصيرها كمصير مثيلها من المشاريع الكثيرة التي باءت بالفشل التام . فالاعتقاد السائد لدى هؤلاء المهتمين ، هو ان الانسان العربي لا زال غير مؤهل لتحمل تبعات التصنيع الحربي العربي بسبب تعقيداته وصعوباته الكبيرة . ان هذا الاعتقاد صحيح الى حد بعيد في الشق الاول المتعلق باهلية الانسان العربي فهو لا زال يفتقر الى الخبرات التقنية الاساسية المطلوبة لاقامة مثل هذه الصناعات وعلى الاخص الكوادر التقنية الوسطية ، ولكنه خاطىء في شقه الثاني من حيث تعقيدات الصناعات الحربية ، والعكس هو الصحيح في معظم الحالات . فتصنيع جرار كبير من طراز كاتربيللار مثلا ، هو اكثر صعوبة وتعقيدا من تصنيع دبابة من ذات الوزن ، كما ان تصنيع اسطوانة هيدروليكية يحتاج الى دقة اكبر من تصنيع سبطانة مدفع له نفس الحجم . اما سبب ذلك فيعود الى ارتفاع « عامل السلامة » (Safety factor) في تصنيع السلاح مما يسمح بحصول بعض الاخطاء التصنيعية ، بينما « عامل السلامة » المنخفض في الصناعات المدنية لا يساعد اطلاقا على السماح بحصول الاخطاء نفسها .

ما دامت طبيعة التصنيع الحربي لا تختلف عن طبيعة التصنيع المدني وقد يكون اقل تعقيدا كما اسلفنا ، لماذا يتخلف التصنيع الحربي العربي عن التصنيع المدني بهذا الفارق الهائل ؟ الجواب على هذا السؤال بسيط وما علينا إلا ان نعرف واقع التصنيع المدني العربي فيتبين لنا السبب بسهولة . يتولى اقامة مشاريع التصنيع المدني في الوطن العربي حتى يومنا هذا ، حكومات او مؤسسات اجنبية ، بدءا من اصغر صامولة الى اعقد آلة فيها . فالخبراء الاجانب يقومون بانجاز كافة الامور : انهم يضعون الدراسات الاولى والتصاميم ويضعون المعدات ومن ثم يتولون بناءها وتشغيلها ، وما على المهندسين والعمال العرب من مجهود يشاركون به سوى امور الصيانة اضافة الى الضغط على الازرار ، لتعمل الآت المصنع اوتوماتيكيا وتنجز ما هو مطلوب منها . فمشاركة الانسان العربي ليست مشاركة اساسية فعلية اذن في